[2]

السنة الثانية | (شباط ١٩٣٣ — شوال ١٣٥١) | الجزء الثاني



مجلة ادبية جامعة

صندوق البريد ٥٣٨ | القدس — فلسطين

تصدر مرة في الشهر

P. O. Box 538 | AL-AKHLAK | JERUSALEM, PALESTINE.

اشتراكها السنوي : في فلسطين ٤٥٠ ملاً في الخارج ٦٠٠ مل

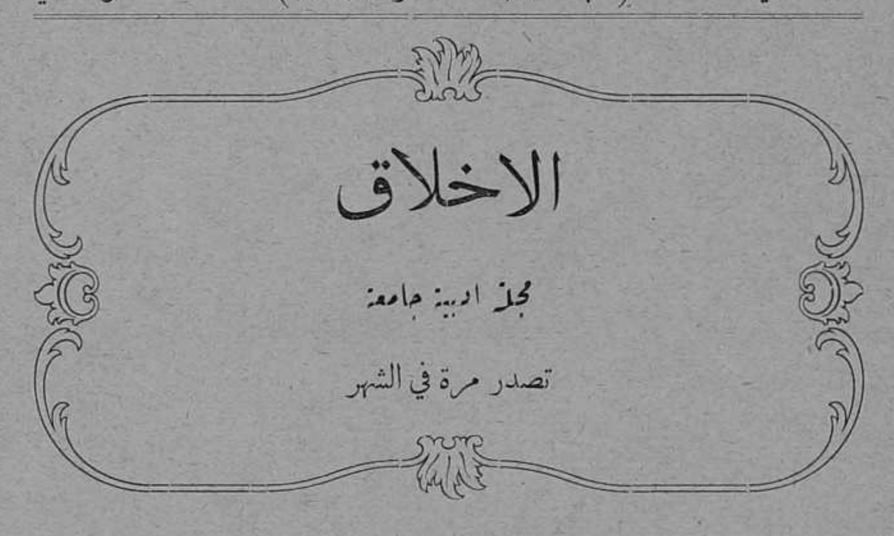
صاحب امتيازها ومديرها المسؤول

داود كوردي

[فهرس العدد]

المطبعة التجارية - القدس


دخنوا السجاير الاصلية التركية
المصنوعة في الاستـــانة
تحت مناظرة الحكومة
« الاصناف »
جوكيه قلوب — غازي — تورك — بوسفور — يالووه
اكسترا اكسترا — ينجى — الخ
موجودة عند جميع الباعة
الوكيل العمومي في فلسطين وشرق الاردن
يوسف البينا
البار الاميركاني
لاصحابه: سخل اخوان
American Bar
في سوق الجديد — تجاه فندق القلعة (كراند انيو اوتيل سابقاً)
مشروبات متنوعة
شامبانيا، كونياك، ويسكي، بيرا، كازوز، سودا، قهوة، شاي
العاب مختلفة
بلياردو — شطرنج — طاولة — دومينو — دامه — الخ.. الخ..
أُقصد أيها الوطني هذا البار في أوقات فراغك فتجد ما يسرك من
معاملة حسنة، ونظافة في الخدمة، ولطف وبشاشة من أصحاب المحل



تأملات وخواطر

بقلم الكاتب الكبير الاستاذ خليل بيدس

النفس العظيمة

حدث ما يأتي في سالف العصور، في مدينة رومة العظمى، عاصمة الدولة الرومانية القديمة

كانت زوجةُ قيصرَ عائدة ذات يوم من الملهى الى قصرها، ففقدت في الطريق حلُاها، فاضطربت وحزنت. ولما نُمي الخبر الى زوجها أمر فنُودي في المدينة بالبلاغ التالي:

«مَن وجد الحلى المفقودة، وردّها في خلال ثلاثين يوماً من تاريخ فقدها، يكافيه قيصرُ بأجزل الهبات والعطايا، ومَن وجدها، ولم يردّها في خلال المدة

المضروبة، تُضرب عنقه في ساحة المدينة أمام جميع الشعب »

وقدم الى رومة في ذلك الحين رجلٌ شرقيٌ بارٌ، نشأ في فلسطين وطاف اكثر الاقطار الشرقية. واتفق وصوله الى رومة يوم فُقدت حُلى الملكة، وقد عثر بها في بعض ارباض المدينة، فالتقطها وأخفاها بين أثوابه وواصل سيره

وما عتم أن سمع المنادين ينادون بامر قيصرَ في كل مكان، ورأى الناس يتراكضون أفواجاً ويتدافعون الى كل جهة من جهات المدينة، يفتشون عن الحلى المفقودة بمزيد النشاط والاهتمام

سمع الرجل البارُ هذا كله ورأى بعينيه حركة القوم، ولكنه لم يردَّ الحلى الى صاحبتها، ولم يخشَ وعيد قيصر، فأبقاها لديه ثلاثين يوماً، ثم حملها في منديل وشخص الى القصر. ولما مَثَل بين يدي الملكة وضع الحلى على مائدة امامها وقال — ها هي حُلاكِ ايتها الملكة!

فسُرَّت وأسرعت فأخذت الحلى وفحصتها بنظرها، فرأت انه لم يفقد منها شيء. فطفح وجهها فرحاً وهناء، وتفرَّست في وجه الرجل الغريب وقالت — يُخَيَّل اليَّ انك لم تكن في رومة هذه المدة كلها!

قال — بل كنتُ

قالت — فلعلك لم تسمع بامر قيصر!

قال — بل سمعتُهُ كلمةً كلمةً يوم صدوره، وكنت وقتئذٍ قد وجدتُ الحلى

فبُهتت وقالت — فكيف سمعتَهُ ولم تردَّها حالاً؟.. ألا تعلم ان قيصرَ قد امر بضرب عنق مَن وجد الحلى ولم يردَّها قبل انقضاء الثلاثين يوماً؟

قال — بلى أعلم، ولم يخفَ عليَّ شيء. وقد رددتُ الحلى الان لاظهر لكِ

ايتها الملكة اني رددتُها لا خوفاً من الموت، بل خوفاً من الله، وعملاً بما يوجبه عليّ الضمير . . .

فارتعشت الملكة، ولم تبطىء ان عاد السرور فطفح على وجهها وقالت — بورك فيك ايها الرجل ! . . ان إلهك عظيم، وبلادك مباركة، لانها أنبتت نفساً عظيمة كنفسك . . .

ثم هرولت مسرعةً الى زوجها تلتمس منه العفو عن هذا الرجل . . وعادت بعد ذلك فتقدمت اليه تريد ان تكافيه خير مكافاة، فأبى . ثم ودّعها وخرج، وهي واقفة مبهوتة، تنظر اليه وقد ملكها الوقار وتولاّها الخشوع . . .

☼ ☼ ☼

السعادة

رُوي ان ملكاً من الملوك العظام دعا ذات يوم الى قصره جمهوراً من علمآء عصره وحكمآء بلاده وألقى عليهم السؤال التالي :

— « ما هي السعادة » —

فانبرى احدهم وقال : هي ان نرى على الدوام ضيآء وجهك الالهي، ونحظى بشرف المثول امامك

فقال الملك لعبيده : أسمُلوا عينيه، لاني لا اريد ان يراني مثلُ هذا المرائي المهذار

ثم تقدم حكيم آخر وقال : السعادة هي السلطة . ولما كان مولانا سلطاناً قادراً، فهو سعيد

فتنهد الملك وقال بحزن : بل تعس، لاني مصاب بالارق، وليس في سلطتي

الشفآء من هذا الداء

ثم التفت الى عبيده فقال: إجدعوا لهذا الحكيم أنفه، وأتوني بغيره

فتقدم حكيم آخر وقال، وهو يُرعَد خوفاً: ان السعادة في الغنى

فقال الملك: فانا غنيّ ولديّ من الاموال ما لا يُحصيه عدد.. ولكني أطلب السعادة فلا أجدها

ثم قال لعبيده: اربطوا الى عنقه ثقلَ رأسه ذهباً واطرحوه في البحر، فلعلّ الذهب يُعيد اليه هناك الافكار الصائبة

وجاء غيرُهُ وكان مرتدياً أطماراً بالية فقال: اني جائع يا سيدي، فأطعمني أكن سعيداً وأُمجِّد اسمك في العالم أجمع

فقال الملك لعبيده: أطعموه حتى يكتظّ من الطعام ويموت

وجاء غيره وكان بديناً قويًّا فقال: السعادة في الابداع

وجاء في اثره آخر وكان شاعراً نحيف البدن أصفر الوجه فقال: بل هي في الصحة

فابتسم الملك وقال لهما: لو كان الامر في يدي لجعلتُك ايها الشاعر تبتهل الى الآلهة بعد شهر ان تمنحك الالهام والابداع، ولجعلتُ هذا الجبّار، الشبيه بهرقل الان، يلتمس من كل رائح وغادٍ شفاء أسقامه

ثم جاء حكيم آخر وقد تزيّن ببعض ازهار النرجس وقال: السعادة في الاضمحلال و الفناء

فقال الملك لعبيده: أسرعوا بفصل رأسه عن جسمه، اذ لا راحة له الاّ في الاضمحلال

وتقدم آخر فقال: السعادة في حب النسآء

فقال الملك: اجمعوا له مئة حسناء، ثم ناولوه، وهنَّ محدقات به، جرعةً كبيرةً من السم ليموت موتاً هنيئاً

وجاء غيره فقال: السعادة هي في الحصول على الرغائب

فقال الملك: وما هي رغبتك لتكون سعيداً؟

فتلجلج الحكيم وامتقع وجهه ولم ينبس ببنت شفة

فقال الملك: ادفنوه حيًّا، فلعل في ذلك رغبته

وجاء آخر فقال: السعادة هي في جمال الفكر الانساني

فحملق الملك وصاح بغضب: وما هو هذا الفكر الذي طلعتَ به علينا؟ انك غريب الاطوار جدًّا ايها الرجل . . .

فتبسَّم الحكيم وأمسك عن الكلام

وكان الملك قد أطرق الى الارض مفكّراً. ثم رفع رأسه وأمر بزجّ ذلك الحكيم في سجن مظلم تحت الارض . . .

وبعد سنة من ذلك اليوم جيء بالسجين، وكان قد فقد سمعه وبصره وهزل جسمه وخارت قواه. فقال له الملك: دعوتُك لتقول لي الان ما هي السعادة ! . . وهل انت سعيد في حالتك هذه؟

فقال الرجل برزانة: قلتُ لك ان السعادة في جمال الفكر . . فقد سجنتني في اعماق الارض، فلم أرَ نور الشمس، ولم أسمع كلمةً من احد، ولكني وانا في هذه الحالة كنتُ سعيداً، لان افكاري كانت توحي اليَّ بهذه السعادة . . فكنتُ أراني ملكاً وغنيًّا وعظيماً، وقد اصبحتُ أعمى وأصمَّ، غير اني لم اكترث لكل هذا ولم اعبأ بشيء، لاني كنتُ سعيداً بافكاري

فقال الملك وهو لا يكاد يملك نفسه من الغيظ: اذاً فاعلم اني سآمر بشنقك

وأبصق في وجهك لارى كيف تكون سعيداً بفكرك، وأين يكون هذا الفكر عندما تُطرَح جثتك الخبيثة على الارض وتُداس بالاقدام

فقال الحكيم: ولكن الفكر، ايها المجنون، لا يموت، فهو باقٍ في هذا الوجود، ما دامت السماء سماء، والارضُ ارضاً...

☆ ☆ ☆

فضائل المرأة

كان جان جاك روسو في ذات يوم جالساً يتحدث مع احدى السيدات وكانت من معارفه، فسألته: ما هي الصفات والمزايا التي يجدر بكل فتاة ان تتحلى بها اذا رامت الزواج وكانت أُمنيَّتها مرضاة زوجها وإسعاده؟

فأخذ الفيلسوف رقعةً وكتب فيها ما يأتي:

الجمال = .

المهارة في تدبير المنزل = .

العلم والمواهب العقلية = .

المال = .

الصلاح القلبي = ١

فنظرت السيدة الى هذه الاسطر وذهلت، لانها لم تفهم شيئاً، ثم قالت للفيلسوف: لعلك تمزح!..

قال: وهمتِ يا سيدتي فما انا بمازح. والذي كتبتُهُ هو الحق الصراح، واليكِ جلاء الغامض:

اذا كان للفتاة قلب صالح فهو لها اساس تستطيع ان تبني عليه جميع

الصفات والمزايا الحسنة . وقد قدّرتُ (صلاح القلب) هذا برقم (١)

فاذا هي أضافت الى صلاح القلب جمالاً، فكأنها أضافت الى الواحد صفراً (٠) فتصير قيمتها (١٠)

واذا اضافت الى هاتين الصفتين عقلاً، فكأنها أضافت الى العشرة صفراً آخر فتصير قيمتها (١٠٠)

ثم اذا أضافت الى ذلك مهارةً في تدبير المنزل أصبحت قيمتها (الفاً) وهلمّ جرًّا

وعليه فيكون صلاح القلب هو الاساس لجميع هذه القِيَم . فاذا خلَتْ الفتاة من هذا الصلاح، كانت صفاتها ومزاياها كلها أصفاراً فقط، ولا قيمة لها الاّ باضافتها الى الواحد الذي هو الصلاح القلبي — أساس جميع الصفات الطيبة والفضائل السامية

٭ ٭ ٭

لماذا أحببتني

لماذا أحببتِني ايتها الغادة الحسناء ؟

انا لا أعلم اين تنبت الازهار الجميلة لازيّن بها شعركِ الجميل وصدركِ الصغير . . اني أجهل كلمات الحب لاهمس بها في اذنيكِ ونحن في خلوة . .

انتِ جميلة بين العذارى . وقد خُلقتِ لتكوني مُحبة ومحبوبة . وتقضي حياتكِ كلها في الهناء والغبطة . فلماذا أحببتِني وليس فيّ ما تنشده نفسُكِ ويميل اليه قلبُكِ ؟ . .

اني لا أعرف من الطرق الاّ أصعبَها وأوعرَها . . ولا أُحب في العالم الاّ الظلام والليل والوحدة . . اريد ان أقضي ما بقي من العمر، كما قضيتُ ما مضى

منه، في الدرس والتأمل، في العلم والعمل، الى ان يدنو الاجل فآوي الى حفرتي وحيداً فريداً منسيًا من الجميع.. فاذهبي عني ايتها الحسناء الى العالمَ. الى موطن الصحة والهناء، والحب والمرَح، والازهار والاطيار، والنغمات الطيبة، والاغاني المطربة. هناك ربيعُكِ، في الشمس المشرقة، وتحت السماء الصافية. اما هنا.. الى جانبي.. فحبُّكِ يذبل كما تذبل الازهار الجميلة، او كما ينطفىء النور في ظلمة الليل..

انكِ قد خُلقتِ للحب، خُلقتِ فتنةً للعقول. فاذهبي يا عزيزتي الى الحقول السندسية والخمائل الغنَّاء، ودعيني في ظلمتي وحيداً، اتركيني بين كتبي فريداً.. للعالمَ كنوز الذهب، وكنزي افكاري، كنزي كتابي.. العالم غنيٌّ بكل شيء، غنيٌّ بالمال والجمال. واما انا فليس لديَّ شيءٌ من هذا وذاك..

لماذا أحببتِني؟ اذهبي عني. اركضي الى مراتع الحب. أسرعي الى حيث يدعوكِ ربيعُ الحياة...

ما لكِ لا تذهبين؟ لماذا لا تسرعين؟.. فهل آثرتِ البقاء الى جانبي؟

اني أرى عينيكِ تتقدان!.. اني اشعر بخفقان قلبكِ!.. فأحبّيني إن شئتِ. وأسعديني إن شئتِ!..

ان حرارة هذا الحب قد سرَت في جسمي. قد أنعشت نفسي. قد أفعمت قلبي آمالاً. واني سأحيي بها العالم..

شعرتُ بحرارة هذا الحب، وشعرتُ معها بقوتي وقدرتي.. وسينظر اليَّ الناس بعد الان بالاعجاب والاكبار.. ولكن أنَّى لهم ان يُدركوا القوة التي جرَت في عروقي، ويقفوا على هذا السرّ العظيم؟..

هذه القوة هي انت ايتها الجميلة بين الحسان! وهذا السرّ هو حبُّكِ الخالص النقيّ!

ولكنكِ قد بذلتِ نفسكِ لي، لتجعليني بحبك عظيماً قويًا.. وانتِ؟...

انكِ ستذبلين!.. وتبكين!..

التربية ورجال الغد

— للاستاذ المحرر —

هل من يدري ما هو العالم؟ — ان ذلك فوق ادراكنا

وانما الذي نعلمه هو ان هذه الكرة الارضية التي ندبُ عليها — هي جزء من هذا العالم العظيم السابح في الفضاء . وكلما كانت الاشياء في هذه الكرة أقرب الينا، ازددنا استطلاعاً لها ودنوًا من ادراك حقيقتها . وكلما باشرنا اقرب الاعمال الينا، ازدادت امامنا وضوحاً وجلاء

في هذا — حكمة الكون . . .

وانت اذا أردت ان تكون نافعاً، فلا يُطلَب منك ان يحيط ادراكك بكل ما يشتمل عليه هذا الكون الواسع العجيب

الانسان هو الوحيد في الكائنات بان له ارادة، وفي مقدوره الاختيار . فهو حرٌّ مُخيَّر، يفعل ما يشاء، وسعادته وشقاؤه منوطان باختياره

ومعلوم ان اهم غايات الحياة هي في العمل، في التعب . وان الانسان لَيقتني سروره وقوته وسعادته بالعمل، بالعمل فقط، لا بالبطالة . فلا سعادة بلا عمل، ولا هناء الاَّ بعد تعب . وكلما كان عملُ الانسان شاقًّا وخطيراً، ازدادت سعادته الحيوية قيمةً وقدراً

وكل أبٍ، يريد ان يقوم بواجباته الابوية نحو اولاده، عليه ان يدرّبهم

على العمل منذ الصغر . ولكن ما هي القاعدة التي يجدر بالاب ان يختطها نحو اولاده، ليأمن الزلل ويكون دليلهم الى الخير لا الى الشر ؟

ان جمهور الآباء يريدون لاولادهم اكثر مما يريدونه لانفسهم، وليس لاحد ان ينكر عليهم هذه الارادة اذا هم سلكوا محجة التعقل والحكمة والدراية

كثيرون من الآباء يريدون ان يرتقي اولادهم حالاً، ويريدون ان يبلغ اولادهم من المقامات والمراتب ما في مقدورهم وما ليس في مقدورهم بلوغه، — وهذا خطأ بيّن

اكتشفْ ايها الاب اولاً ما في طبيعة الولد، ثم اهتم بعد ذلك بانماء ما في طبيعته هذه من المواهب والغرائز

يقول بعض الذين كتبوا في فن التربية والتعليم : ان الطفل أشبه برقعة بيضاء، ينقش عليها الآباء والمربّون ما يشاءون . . وهم يريدون بذلك ان الطفل يكون كما يريده المهذّب والمربي

اما نحن فنخالف هذه القاعدة . وعندنا ان في كل طفل منذ ولادته شيئاً مطبوعاً فيه، يجب ان يُحسَب له الحساب الاول في التربية، ولا يستطيع اكتشاف هذا المطبوع الاَّ الآباء والمربّون الماهرون. فتكون واجباتهم والحالة هذه، مراقبة الطفل ودرسه، لاستشفاف ما تنطوي عليه طبيعتُهُ، وإنماء ما كان منها صالحاً وحسناً، وقتل ما كان ذميماً وضارّاً

ولا ننكر ان مراقبة مثل ذلك في بعض الاولاد شاقة جداً، وقد تقتضي وقتاً طويلاً وجهوداً كثيرة. غير ان الاب الحقيقي عليه ان لا يتسرّع في حكمه، وان لا يدفع ابنه الى ميدان الحياة، ويترك له الحبل على الغارب، قبل ان يتحقق غرائزه

ومتى شبَّ الولد وخطا الى ميدان الحياة، فاجتهد ايها الاب في ان يكون عملُهُ جدًّا لا هزلاً، اذ لا الاموال ولا المقتنيات تجعل الانسان حُرًّا مستقلاً، بل الجدُّ في الاعمال

اذا أردتَ ان تعلّم ابنك العمل، فلا تتوانَ امامه، ولا تكتفِ بارشاده بالكلام والمواعظ، بل سر امامه بالمثل الصالح، وهو أفعلُ من كل كلام.. والطفل الذي يرى العمل في منزل والديه منذ الحداثة، يشبُّ عاملاً مجتهداً، والذي يرى التراخي والتواني، يشبُّ مِكسالاً متوانياً

واذا تقرر هذا، فاعلم ان الاولاد يحيون للعالم، لا لك، وفي نفوسهم غريزةُ العمل منذ الصغر، ولا تنمو هذه الغريزة اذا تُركت وشأنها. فاجتهد ان تكون لها مثلاً صالحاً في العمل والتعب، لكي تنمو هذه الغريزة فيهم، ويشبُّوا على الجد في اعمالهم، والاستقلال بانفسهم

ومتى أدرك الاب قيمة حياة اولاده، تحتم عليه ان يسعى ليفهموا هم من تلقاء انفسهم قيمة حياتهم

ولا قيمة للحياة الا اذا كانت حُرَّة

بهذه الروح ينبغي لك ايها الاب ان تربي اولادك، وبهذه الروح يجب ان تسير بهم في مضمار الحياة

كاملاً يكون كل حيوان وكل نبات. اما الانسان فكماله في حرّيته

والحريةُ هي احسن درع في الحياة، وهي المرشد الى كل نجاح، والهادي الى كل فلاح. والانسان الحر يحمل في نفسه شريعته الخاصة، ويمهد لنفسه كل سبيل، ولو كان محفوفاً بالصعوبات والاخطار

غير ان للحرية نظاماً، وهو مصدر كل حرية. والحرية بلا نظام فاسدة

البداءة فاسدة النهاية، بل هي الفوضى بعينها. . ومن الناس في كل عصر وفي كل امةَّ، من اتخذوا الحرية على غير وجهها، وعاشوا وهم لا يراعون حرمة هذه الحرية ولا حرمة نظامها، فسقطوا، وكان سقوطهم عظيماً

واذن، فعلى كل أب ان يهتم لدى تربيته لاولاده بالنظام اولاً، وكبح كل ما يصدر منهم مخالفاً له، سوآء كان ذلك في اثنآء اللعب والركض والكلام، او الاكل والشرب وسائر الحركات والشؤون اليومية

ومن البديهي ان الولد لا يعرف للنظام معنىً في شيء من اعماله. فاشرع ايها الاب بذلك منذ طفولته، واياك ان تُغفل شيئاً مما تراه مضرًّا به وخارجاً عن النظام. ومتى رأيتَ ولدك ناهجاً خطة النظام الذي تطلبهُ اصول التربية، فدعه شيئاً فشيئاً يتولى قيادة نفسه، وكن في الوقت نفسه صديقاً له ورقيباً. وكلما رأيته أخطأ او ضلَّ السبيل، فاعتنِ بان يشعر هو بخطأهِ، ويفقه اسباب ذلك الخطأ، ليتجنَّبها في ايامه المقبلة، ويشعر بوجوب اعتماده على نفسه في كل شيء

دَرِّبْ ولدك منذ الصغر على القيام بكل ما تفرضه من الشؤون المنزلية. عَلِّمْهُ الترتيب والتدقيق والنظافة والاقتصاد وغير ذلك من الامور التي قد تتوقف عليها حياتُهُ كلها

قد يظن الاب ان هذه الامور الطفيفة مما لا يجب الاهتمام به في طفولية الاولاد، وانهم سوف يتدربون عليها متى كبروا. . والحال انها من الامور المهمة ولو كانت صغائر، والكبائر انما تتوقف عليها. ومتى كان الاساس راسخاً ومتيناً كان البنآء كذلك

كن ايها الاب متنبهاً لكل كلمة يُبديها ولدك الصغير، واعتبر ذلك وتَدَبَّرْهُ، واياك ان تُهمل شيئاً او تتغافل عن شيء، واسلك في تربية الولد مسلك العدل وطول الاناة، واهتم ان يكون كلامك له معقولاً مفهوماً، وبيِّن له خطأه او

صواب عمله بطريقه يدركها، واسعَ ليكون هو المسؤول عن كل عمل من اعماله، وعليه تبعتها

واذا سرتَ في هذه الخطة، ودرّبتَ ولدك على الحرية والاعتماد على النفس منذ الصغر، فانه لا يهلك، بل يشبُّ رجلاً حرّاً مقداماً، خبيراً بامور الحياة، قادراً ان يتجنّب اخطارها، ويجد لنفسه بين عواصفها مخرجاً اميناً

ومعلوم ان في كل انسان ميلاً غريزياً الى الاقتدآء. وهذه الغريزة نراها أيضاً في بعض الحيوانات، ولكنها في الانسان أقوى وأشد. وهو كلما ارتقى بمداركه، يخف هذا الميل فيه. وهو ولا جرَم، درجة غير كاملة من درجات الحياة. فاسعَ ايها الاب ان تُضعِف هذه الغريزة في ولدك لئلا تتمكن منه، ويصير دأبه الاقتدآء فقط، دون الاعتماد على النفس. إسعَ ان يتخطّى هذه الدرجة، ويفك قيود التقليد، ويختطَ لنفسه ما يشآء من الخطط، وينمو لذاته، غير معتمد على الاقتدآء، لانه دليل الضعف

نحن لا نقول بعدم فائدة القدوة، ولكننا نقول بعدم الاقتصار عليها، لانها تُضعف في صاحبها قوة الاستنباط والابتكار، وبالتالي تُضعف حريته الطبيعية. ولما كان الطفل شديد الاقتدآء بسواه، وجب ان تكون الصفات والخلال التي استفادها بطريق القدوة، كأنها ناشئة فيه عفواً، ووجب ان تخترق نفسه كل هذه الخلال، ويختص لنفسه ما يستحسنه منها، والا فتكون تلك الخلال أعباءً في نفسه، تعوقها عن النمو الذاتي

الى هذا يجب ان تسير ايها الاب بنفس طفلك، وانت تقوده الى العالم. وفي كل شيء يجب ان تسعى الى الجوهر، والى لباب الاشيآء، لا الى قشورها وصوَرِها، واسعَ جهدك ان يعتاد ابنك الاعتماد على النفس. الاعتماد على الاستدلال والابتكار، لا الاعتماد على التقليد فقط

شوقي

(شاعر الامرآء)

لحضرة الكاتب الكبير

الاستاذ انطون بك الجميّل

ما عرفنا شاعراً صيغ له من قلائد المدح، ونُظم فيه من عقود الثناء، ما صيغ ونُظم في شوقي: فهو الملقَّب بأمير الشعراء، وكل قصيدة له تُنعت بالعصماء وكل منظومة من منظوماته تُعدُّ شوقيةً غراء. كلماتهُ الدرُّ النظيم، ومعانيه الجوهر اليتيم. هكذا تصفه سيارة الصحف، وهكذا يقول فيه رواة شعره

ولقد استحق الكثير من هذا الوصف: فهو شاعر الغزَل والنسيب، وناظم الحوادث والتاريخ، صاحب الحكم الرائعة والامثال الذائعة، ترجمان العاطفة الوطنية والذائد عن العقيدة الدينية. محي دارس الآثار ومستنهض الهمم الى الاعمال الكبار، الداعي الى الاتحاد والوئام والمستخلص خالد الحقائق من الاحلام

ومن كان هذا شأنه يصعب ان يتناوله البحث في عجالة موجزة. لذلك قصرنا البحث اليوم على مظهر من مظاهر شاعريته الجمة، وهو نزعته السياسية وما طرأ عليها من التقلبات. ولما كان الكاتبون قد افاضوا في الكلام عن شوقي «امير الشعراء» فقد اردنا ان نقول كلمةً عن شوقي «شاعر الامراء» وما تخيرنا

طرق هذا الموضوع الوعر المطلب الشاق المسلك، إلا لان البعض ما زال يهمس به همساً دون التعرُّض له بالبحث والتحليل، ويشير اليه من باب التلميح لا من باب التصريح

٭
٭ ٭

قالوا : اذا لُقب شوقي بامير الشعراء، فلانه كان شاعر الامراء، على قاعدة القلب المعروفة عند العرب

مَدَحَ أقيال مصر من اسماعيل الى توفيق الى عباس الى حسين الى فؤاد . وكثيراً ما ذهب صعوداً من الاحفاد الى الاجداد، فتطرق الى مدح سعيد وابرهيم ومحمد علي . بل رجع الى التاريخ القديم يقلّب صفحاته، فيمدح سلاطين مصر وخلفاءها وفراعينها ويتغنى بمآثرهم ويشدو بآثارهم، مجيداً في مدحهم جميعاً

وكذلك كان شأنه مع سلاطين بني عثمان الذين تعاقبوا على عهده : فكما مدح عبد الحميد أطرى رشاداً، وكما أطرى رشاداً أشاد بمحمد الخامس . وكما تغنى بعظمة السلاطين والخواقين، تغنى بابطال الحرية والدستور العثماني، وكما أطنب بذكر سلاطين الاستانة أطنب بذكر رجال انقرة

فكان من وراء ذلك ان اتهمه البعض في صحة عقيدته السياسية، وزعم آخرون انه مدّاح السلطة، ايةً كانت السلطة، ومُطري القائمين بالامر، ايًّا كان القائمون بالامر . تهمة لا تقوم على اساس اذا حلّلنا نفسية شوقي، وتشككك يضمحل من نفسه اذا نظرنا الى الحوادث والاحوال التي أحاطت بالشاعر، فحملته على تغيير اسم الممدوح دون ان يغير مطلبه من المدح، وعلى تبديل العنوان دون ان يبدّل ما تحت العنوان . فالنصائح هي هي مهما تغيرت المدائح . وهو القائل (ولي غُرَرُ الاخلاق في المدح والهوى)

خدم الحرية لانه أحبها . ودعا الى الاصلاح لانه لمس الحاجة اليه . وقال بوجوب نشر العلم ومكارم الاخلاق لانه عرف انها اساس العمران . ومن اجل ذلك خدم السلطة لانه رآها واجبةً لازمة لتحقيق جميع تلك المطالب

لا يصلح القوم فوضى لا سراةَ لهم ولا سراةَ اذا جُهّالهم سادوا

مدح جميع من ذكرنا من الملوك والامراء، ولكنه نصح لكلٍ منهم بالاصلاح، واحترام الحرية، والعمل على ترقية البلاد، وحسن سياسة العباد، ورفع منار العلم . وهو يرى أن جميع هذه الامور لا تتم في الشرق الا على ايدي القائمين بالامر فيه . لان الاصلاح اذا كان محققاً ولا محالة، كما يقولون، إمّا من الاعلى وهو التحول، وإمّا من الادنى وهو الثورة، فهو يريده عن طريق التحول، اي من الاعلى، على يد صاحب السلطان . هذه هي نظريته الاجتماعية . فهو يطلب الخير لهذا المجتمع الشرقي عن هذه الطريق

ولا جالَ الا الخيرُ بين سرائري لدى شدّةٍ خيريّةِ الرغباتِ

يمدح الخديوي عباساً، ولكنه يقول له:

لا يُظهر الكبراء آية عزّهم حتى يُعزّوا آيةَ الافكارِ

ويذكّره، وهو يفتتح الجامعة المصرية، انّ

ترك النفوس بلا علمٍ ولا ادبٍ ترك المريض بلا طبٍ ولا آسِ

واذا قال لتوفيق:

لك مصرُ يجري تحت عرشك نيلُها ولك البلاد عريضها وطويلُها

فقد قال له في القصيدة نفسها:

كانت خزائنُ مُلكها بيد البلى نهباً مباحاً للرقيب دخولُها

ألقت مفاتحها اليك فاصبحت يزن الزمانُ كنوزها ويكيلها

واذا مدح اسماعيل أنصفه في قوله:

لم يرَ النـــاسُ مثل ايـــام نعما ك زَماناً ولا كبؤسك عهدا
كنتَ ان شئت بُدِّل السعدُ نحساً واذا شئت بُدّل النحس سعدا

واذا مدح الملك فؤاد عقَّب على المدح بقوله:

إن سرّك الملك تبنيه على أُسسٍ فاستنهض البانيين العلمَ والادبا
وارفع له من حبال الحق قاعدة ومدّ من سبب الشورى لها طُنبا

يدعو الازهريين الى الالتفاف حول العرش:

كونوا سياج العرش والتمسوا له نصراً من الملك العزيز مؤزّرا

ولكنه يعلق على ذلك بقوله:

وتفيّـــأوا الدستور تحت ظلاله كنفاً أهشّ من الرياض وأنضرا

فماذا يهمنا اسم الممدوح، وماذا يهم، بنوع خاص، الاجيالَ القادمة اذا كان المدح ينطوي على مثل هذه العظات والحكم البالغة. فليمدح الشاعر من شاء منَ الملوك ما دام يقول له:

والعدل في الدولات أُسٌّ ثابتٌ يُفني الزمانَ ويُنفِدُ الاجيالا

او ما دام يهيب به:

ان ملكتَ النفوسَ فابغِ رضاها فلهـــا ثورة وفيهـــا مضـــاء
يسكن الوحشُ للوثوب من الاســـر، فكيف الخلائقُ العقلاء

ألا يحتاج الشاعر — كما يحتـــاج الحكيم — الى الحيلة ليحمل حملته على روح الاستبداد كما يفعل شوقي مشيراً الى توت عنخ آمون:

المستبدُّ يُطـــاقُ في ناووسهِ لا تحت تاجيه وفوق وثابهِ (١)

(١) الوثاب السرير الذي لا يبرح الملك عليه

والفرد يُؤمن شرُّهُ في قبرهِ كالسيفِ نام الشرُّ خلفَ قرابهِ

ألا يُعدُّ الشاعر أبلغ مرشدٍ وأهدى هادٍ — في مدح الملوك — اذا عرف ان يقول كشوقي:

زمــان الفردِ يا فرعون ولّى ودالت دولة المتجبرينــا
وأصبحت الرعاة بكل ارض على حكم الرعية نازلينــا
فؤاد أجلُّ بالدستور دنيــاً وأشرفُ منك بالاسلام دينــا
بنى (الدارَ[1]) التي لا عزَّ إلا على جنباتهــا للماكثينــا
ولا استقلال إلا في ذراهــا لمتبوعٍ ولا للتــابعينــا

اليس من البراعة ان تمدح المرء بمحمدة لتحببهـا اليه، وان تذم له منقصةً لتكرّهه فيها؟ اليس ذلك ما فعله شوقي في قوله للسلطان محمد رشاد:

جدّدتَ عهد (الراشدين) بسيرةٍ نسج الرشــادُ لها على منوالهِ
بُنيت على الشورى كصالح حكمهم وعلى حيــاةِ الرأي واستقلالهِ

وفي قوله:

واذا سبا الفردُ المسلّطُ مجلساً ألفيتَ احرارَ الرجــال عبيدا

بمثل هذا مدح شوقي الملوك والامراء، متخذاً المديح في اغلب الاحيـان وسيلة لطلب العدل والانصاف في الرعية، ولتمجيد الشورى والحرية، كما رأيت في ما ذكرنا، وما تجد منه الشيء الكثير في سواه

وهكذا لم يغير عقيدته السياسية ومبدأه الاجتماعي. فهما هما في جميع مدائحه وإن تبدل اسم الممدوح. والشاعرُ شاعرٌ أيّاً كان الرويُّ الذي يختـاره لقصيدته، ما دامت نفسه حساسةً وقريحته فيّاضة. وهل اسم الممدوح في جميع

(١) دار النيابة

ما ذكرنا سوى الرويّ ؟

وقد قال هو نفسه :

جلالُ المُلك ايامٌ وتمضي ولا يمضي جلالُ الخالدينا

ونعتقد انه لا بد من شجاعة في النفس للاقدام على ذلك ، كما انه لا بد من كثير من البراعة والمرونة واللباقة لهذا التغيير في الشكل دون التغيير في الجوهر حتى يتم ذلك بلا تبجّح ولا تعصّب للمبدأ الجديد . والتعصب كما هو معروف ملازم عادة لمن يذهب مذهباً جديداً في السياسة او في الدين . وهذا ما عرف شوقي ان يتجنبه . فاذا دعا الى حكومة جديدة ، انقياداً لصوت الشعب ، فهو لا ينكر صداقاته القديمة ، بل لا ينفض يده من يد الذين لا يزالون على غير فكره . واذا دالت دولة من دول الشرق التي كان لها نصيب من مدحه وتمجيده ، فلا يرى وجوبَ النعي والنحيب والامتناع عن مجاراة الزمان . بل يبرز للدولة الجديدة مطرياً مادحاً مع دعوةٍ الى الاصلاح والى تحقيق ما لم يتحقق على عهد سالفتها . فخلاصة مبداِهِ (الترحيب بالحاضر مع احترام الماضي) . وأتمُّ مثال على ذلك قصائده في الاستانة وأنقره ، ورجالِ هذه ورجال تلك

وهكذا يضرب خيامه في معسكر غير الذي كان ضارباً خيامه فيه بالامس ولكن دون ان يحقّ رميه بالجحود ، او اتهامه بالخيانة والمروق

أأخون اسماعيلَ في ابنائه ولقد وُلدتُ بباب اسماعيلا
ولبستُ نعمته ونعمة بيته فلبستُ جزْلاً وارتديتُ جميلا

ومن نشأ كشوقي في عهد كانت فيه مصر بين سلطان الفرد المتأصل في صدور الشرقيين وحكم الشورى النابت في عقولهم ، ومن ربي مثله في قصور الامراء وحلّ ضيفاً على السلاطين ، ثم رأى كيف تنهار القصور وتثلُّ العروش وكيف تولد الثورات فتهتزُّ لها الاعصاب اهتزازاً ، وكيف يقوم الدستور

فيسكب على القلوب سلاماً ويثير في النفوس اعتزازاً، ومنْ عرف كشوقي نعيم الحياة وبسطة الجاه، ثم ذاق ألم النفي والابعاد، — لا يستكثر عليه ان يعرف كيف يرتفع فوق الاشخاص ويسمو عن العَرَض الزائل الى الجوهر الخالد، فيمدح الملك لخير المملكة، ويمجد السلطان لخير السلطنة. لان تجاريب الزمان زادت في استقلال عقله ووسعت دائرته للاحاطة بكل فكرة سامية. فاذا رأى في تلك الفكرة فائدة لذلك الشرق الذي تغنى به، فلا يتأخر عن الاشادة بها، ولو كانت من الافكار التي لم يقل بها فيما مضى. وهو في ذلك ليس بالجاحد ماضيه، ولا بالمنكر عقيدته. بل هو من طائفة الرجال الذين هذبهم الدهر وثقفهم، فأصبحوا يحدبون على وطنهم ويتألمون لآلامه، فيطلبون له النجدة من اي جانب بدَت، ولو من جانب الافكار التي كانت بالامس مُغايرةً لافكارهم. فلا ينعزلون في برج حقدهم وغضبهم بحجة الاحتفاظ بالمبدأ، بل يواصلون الجهاد في خدمة وطنهم ولو تحت راية جديدة

وعلى ذلك يمكن القول ان مدائح شوقي صور واستعارات شعرية، لا عقيدة سياسية. فاذا مدح الملوك والامرآء لا يمدح سلطتهم المطلقة، ولا يراهم كما رآهم بعض قدماء الكتاب في الشرق والغرب من طينة غير طينة البشر

لا يقولنَّ امرؤٌ اصلي فما اصله مِسكٌ واصل الناس طينْ

واذا غير اسماء ممدوحيه، فانه لا يغير ما يقصد اليه من وراء المدح، فما ممدوحه سوى الرويّ في الشعر، لا يُنقص من قيمة الشعر ولا من مبلغ مرماه الاجتماعي. وما كانت هذه التقلبات لتنتقص مجده في الزمن الآتي، وإن اراد البعض انتقاصه في الزمن الحالي: فالاجيال الآتية لن تعرف شيئاً عن ضعفنا ويأسنا ووهن عزيمتنا، بل ستدرك كيف يستطيع المرء ان يعدّل رأيه دون ان يكون جاحداً، ولا سيما في عهد الثورات الفكرية والانقلابات السياسية

بل انه لولا هذه التقلبات ما كان شوقي على ما كان عليه . فقد قال النقادة (لا هارب) ما معناه: «ان في عصور الاضطرابات ما يُضعف الحكومات وما يقوي الشعر والخطابة».

فمن رأى كل ما رآه شاعرُنا من الحوادث العظام يزداد احتراماً لكل ما من شأنه دعم السلطة والعقيدة، والقضاء على الفوضى في الافكار، فلا يفهم المنازعات الحزبية بل يدعو الى الوئام والمسالمة . اسمعوه ينادي باعلى صوته:

إلامَ الخلفُ بينكمو إلاما وهذي الضجّةُ الكبري علاما
وفيمَ يكيد بعضكمُ لبعض وتبدون العداوة والخصاما

او يقول:

واذا دعوتُ الى الوئام فشاعر أقصى مناه محبة وسلامُ

ودعوته الى الوئام جامعة شاملة، فهي تتناول الاديان كما تتناول الاحزاب. فما قاله في (موسى والمسيح ومحمد) لم يقله شاعر قبله

واذا كنا لا نلومه لقوله في اواخر ايامه:

اهجروا الخمرَ تطيعوا اللـه او تُرضوا الكتابا
انها رجسٌ فطوبى لامرىء كفَّ وتابا

بعد ان كان قد قال في صباه:

رمضان ولىّ، هاتها يا ساقي مشتاقةً تسعى الى مشتاقِ

فعلام نلومه لانه قال في سوى ذلك غير ما قاله بالامس؟

وهذا الشاعر الارستقراطي الذي يجوز بحق تلقيبه بشاعر الملوك والامرآء، كان أيضاً شاعر الشعب، فتغنى بابنائه العصاميين ودافع عن حقوقه فقال:

سُخَّرُ النـــاسُ وان لم يشعروا لقويٍّ او غنيٍّ او مبينْ
والجمـــاعات ثنـايـــا المرتقى في المعالي وجسور العـــابرينْ

وخاطب العمال بقوله:

قد دعاكم ذَنَبَ الهيـــــئةِ داعٍ فأصابا
هي طاووسٌ وهل أحســـــنُهُ الاَّ الذنـابـــا

ولا يتبادر الى ذهننا ان هذا التغيير يتم عنده بلا نزاع ولا تردد بين الماضي والحاضر، فهو يقول تارةً:

لا تحذ حذوَ عصـــابةٍ مفتونةٍ يجدون كل قديمٍ شيءٍ منكــرا

ويقول اخرى:

الهدم اجمل من بنـــاية مصلح يبني على الاسس العتاقِ جديدا

وصفوة القول ان شعره مرآة للرأي العام وتَبَعٌ لتقلبات الحوادث يسجلها فيه ويرويها في تلك القصائد التي يتغنى بها ابناء العربية في كل قطر، فتتجلى فيها نزعات الرأي العام اكثر مما تتجلى فيها مبادىء الشاعر السياسية. فهو كالنحلة تأخذ عسلها من كل زهرة. أليس شوقي القائل في النحل:

فهل رأيتَ النحل عنَ امـــانـةٍ مقصِّرَهْ
ما اقترضت من بقلةٍ او استعارت زَهرَهْ
أدَّت الى الناس بهِ سكَّرَةً بسكَّرَهْ

وما دمنا في ذكر تسجيل الحوادث وتدوين الوقائع في الشعر فخليق بنا ان نشير الى ما كان لشعراء مصر من الفضل العميم على نهضتها، من خليل وحافظ الى العقاد والمازني، ومن الرافعي ومحرم الى الكاشف ونسيم. فقد تابعوا النهضة في سيرها فسجلوا وقائعها في قصائد ملؤها الروح السامية، بل سيَّروا النهضة في

منهجها القويم بسديد اقوالهم ، فرفعوا منار مصر وأعلوا شأنها بين الامم

واذا رجعنا الى (امير الشعراء) او (شاعر الامراء) ذكرنا انه يُروَى عن الايطاليين قولهم : لو كانت حكومتنا جمهورية ما انتخبنا رئيساً لها غير ملكنا . . .

ونعتقد انه لو كانت دولة الادب امارة ما اختار ادباؤنا اميراً لها غير شاعر الامرآء ، فهو جدير بان يتسنم عرش الامارة عن رضى واختيار من اركان دولة الشعر في هذا العصر ، لانه قد اجتمع له من صفات الشاعرية ما يؤهله لذلك . وقد صح فيه ما قاله عنه المرحوم اسمعيل صبري باشا منذ ثلث قرن :

مرحباً بالقصيد يتلوه للشعـــرِ اميرٌ يصغي له امراء

ومن قصيدة أنشدها الشاعر الكبير المرحوم حافظ ابرهيم في الحفلة التي اقيمت لشوقي سنة ١٩٢٧ في الاوبرا الملكية قوله :

اميرَ القوافي قد أتيتُ مبايعـــاً وهذي جموع الشرق قد بايعت معي

بعض مراحل حياة شوقي

وُلد شوقي	سنة ١٨٦٨
دخل مكتب (الشيخ صالح)	« ١٨٧٣
خرج من المدرسة الخديوية ودخل مدرسة الحقوق	« ١٨٨٣
سافر الى اوربا لدرس الحقوق والادب	« ١٨٨٧
عاد الى مصر	« ١٨٩١
نُفي في الحرب الى اسبانيا	« ١٩١٥
عاد من منفاه في اواخر	« ١٩١٩
توفي	« ١٩٣٢



الانتظار

— قصة —

... وبعد العشاء جلس الرجال في ردهة كبيرة يدخنون ويتسامرون. وكان حديثهم عن الثروة، وحوادث الوراثة، والغنى الفجائي

وكان بينهم رجل يناهز الخمسين من عمره، وقور الهيئة ذو ادب وظرف، وهو محامٍ من أنبغ المحامين، فالتفت الى الجماعة وقال — اني في هذه الايام أبحث عن وارث اختفى فجأة على اثر حادثة اهلية بسيطة وهائلة في آن واحد، وهي من الحوادث التي تجري يومياً في كل مكان، غير أن للحادثة التي سأرويها لكم شأناً خاصاً كما سترون

فقد دُعيتُ منذ ستة اشهر الى منزل سيدة نبيلة غنيَّة، وكانت في الساعة الاخيرة من حياتها، فقالت لي: «دعوتك يا سيدي لافضي اليك بامر عظيم الاهميَّة وأعهد اليك في القيام به.. وها وصيَّتي الاخيرة، كتبتها قبل ان أُغادر هذه الدنيا، وأوصيتُ لك فيها بألف جنيه اذا سعيتَ ولم تنجح وبخمسة آلاف اذا نجحتَ.. وهذه المهمَّة هي ان تفتش بعد وفاتي عن ابني.. فساعدني لِأستوي في سريري وأقصَ عليك حديثي»

فساعدتُهـا وأجلستُها كما شاءت. فتنهدت ثم أخذت في الكلام فقالت: «انت هو الرجل الاول والاخير الذي أُكاشفه بما في نفسي.. واني سأجهد

قواي لأروي لك الخبر بتمامه، لتكون على بصيرة في ما ستفعل. وقد اخترتُك لهذه الغاية لِما بلغني عنك من صفآء السريرة والخبرة باحوال الناس. فاسمع»:

«اني قبل ان تزوجتُ علقتُ بحب فتىً جميل الصورة دمث الاخلاق، بيدَ ان والديَّ حالا بيني وبينه وحظرا عليَّ الاجتماع به، لانه لم يكن من ذوي الثروة، ثم أكرهاني على الاقتران بمن اختارا.. وفي نهاية السنة الاولى من زواجنا وضعتُ غلاماً وقفتُ عليه جميع عواطفي وحياتي.. ومات زوجي بعد ولادة الطفل بسنتين. وكان حبيبي قد تزوَّج أيضاً، فلما علم بوفاة زوجي، عاوده الحب واستيقظت عواطفه نحوي، وأخذ يتردد عليَّ ويُكثر زياراته.. الى ان عدنا الى عهد الحب وهام كلٌّ منا بالآخر، وكنا نقضي اكثر الاوقات معاً، لا نخشى عذولاً ولا نحذر رقيباً.. ولا أظنك يا حضرة المحامي تشدد في ملامتي على هذا التهوُّر في الحب، لاني كنتُ وحيدةً فريدةً، وقد مات والداي، ولم يبقَ لي أنيس ولا مَن أشكو اليه وحدتي، وكنتُ لا أزال في نضارة الصبا.»

«نعم ان ذلك لا يبررني، وقد كان من الواجب الادبي عليَّ أن لا أقبل الرجل في بيتي، لانه ذو امرأة شرعية. غير ان الهوى كان قد تولاني بجملتي، فلم أعِ شيئاً ولم أراعِ واجباً، وتفرَّغتُ للحب بكلّيتي وأصبحتُ عاشقةً معشوقةً.. وقضيتُ كذلك اربع عشر سنة، والايام لا تزيدني الا اندفاعاً في الحب، فلم أحسب لشيء حساباً. وقد تعرَّفتُ بزوجة الحبيب وأظهرتُ لها الصداقة والمودة، وكان ذلك مني ريآء وخداعاً...»

«وكنتُ في اثنآء ذلك أُربي ولدي، والحبيبُ يشاطرني العناية بتربيته وتثقيفه، ويظهر له من العطف والحنان ما يفوق الوصف. وكان الغلام يحبُّه ويرتاح لملاطفته وإرشاده الى ان بلغ السابعة عشرة من عمره..»

«وكنت ذات يوم وحدي في المنزل أنتظر الولد والحبيب للعشاء. وإني

لكذلك اذ دخل الحبيب وحده، فوقع على عنقي يقبلني ويضمني الى صدره . . وبينما نحن في ضم وعناق دعت انتباهنا حركةٌ في الغرفة، فذُعِرنا كلانا والتفتنا، واذا بولدي « فريد » قد دخل أيضاً ووقف ينظر الينا وقد تجهّم وجهه . فأجفلتُ وارتعدتُ . ولا تسل عمّا أصابني حينئذٍ من عوامل الخجل والهلع . . فدفعتُ عني الحبيب، ومددتُ ذراعيَّ الى ولدي كمن يستغيث به ويسأله الصفح، غير انه أعرض عني وخرج، فلم أرَهُ . . . »

« ولبثنا نحن جامدَين ساكتين، وكلٌّ منا يتبع سير افكاره . وقد شعرتُ بميل شديد الى الفرار، والاختفاء، والانتحار . ثم أجهشتُ في البكاء، وصدري يكاد يتمزق . . . وكان الحبيب لا يزال واقفاً امامي، وقد اضطرب وذعر، ولم يعلم كيف يفاتحني الحديث . . الى ان تجلد أخيراً وقال — اني ذاهب لأبحث عنه . . لاقول له . . لأقنعه بالرجوع الى هنا . . »

« ثم خرج، وأقمتُ وحدي أتوقّع رجوع ولدي وفلذة كبدي، وانا في اشد حالات التهيّج والقلق . . وقد مرّت عليَّ الساعات الطوال، وانا جالسة أناجي نفسي، وأتأمّل في هذه الحالة الشقيّة التي لا أتمناها لاكبر المجرمين »

« وفي منتصف الليل جاءني رسول يحمل اليَّ رسالةً من الحبيب، يقول فيها : « هل عاد ولدُكِ ؟ . . اني بحثتُ عنه طويلاً فلم أظفر به، ولستُ أُريد ان أُزعجكِ بزيارتي الان، فالى الغد . . »

« فكتبت على الرسالة : « ان فريداً لم يعد، فيجب ان تجده . . » ودفعتها الى الرسول »

« وعدت الى مكاني فجلست وعيناي شاخصتان وافكاري مشرّدة الى الصباح. وقد أُصبتُ بحمّى محرقة، ثم بعلّة دماغية لزمت الفراش بسببها بضعة أسابيع، وانا في غيبوبة متواصلة لا أعي شيئاً مما حولي . . وكان خَدَمي قد أيقنوا بجنوني،

فاستدعوا لمعالجتي الاطبّاء الى ان شُفيت . . ولما ثاب اليّ رشدي رأيت في مخدعي حبيبي جالساً بازآء سريري كئيباً مغموماً ، فصحتُ به — اين الغلام ؟ »

« فنظر اليّ بحزن ولم يجب

« فقلتُ — هل مات ؟ . . هل انتحر ؟ . .

« قال — لا أعلم . ولكني دققت البحث عنه في كل مكان ، وأعلمت الشرطة بأمره ، فلم أجد مَن وقف له على أثر . .

« فصحتُ به — أُغرُبْ اذاً من امامي ، ولا تعدْ الى هنا إلاَّ والغلام معك ! . . .

« فخرج ، ولم أرَهُ منذ ذلك اليوم . . وقد تقضّت عليّ عشرون سنة بعد ذلك ، لقيت فيها اشدّ ضروب العذاب والبلآء ، أنتظر الغلام وأتنسم اخباره ، ولكن بلا جدوى ، وقد ذهبت مساعيّ كلها سدىً . . . وها اني أموت الان مغمومةً تعسةً شقية ، وليس مَن يرثي لحالي فيكفكف عبرتي او يدرأ عن قلبي الكسير ما يلقاه من أليم الاحزان . . . ولا أكتمك ان الحبيب كان يكتب الي ويتوسل ان أسمح له بمقابلتي ، غير اني كنت أُقابل طلباته كلها بالصد والجفآء . . »

« هذه قصتي يا حضرة المحامي ، رويتُها لك وانا أكاد أذوب غمًّا ويأساً . . فاذا ظفرتَ بولدي فأسألك ان تُفضي اليه بكل ما عرفت ، وأن تقول له : « لا تكن قاسياً نحو الضعف البشري الى هذا الحد ، واذا انت لم تصفح لوالدتك في حياتها ، فاصفح لها في مماتها ، لانها كابدت أمرّ العذاب وتحملت انواع الغصص . . . »

☆ ☆ ☆

ثم ارتعدت المحتضرة وظهرت صفرة الموت على وجهها فقالت — « وقل له

أيضاً: «اني لم أرَ ذلك الرجل هذه السنين كلها... وأسألك الان ان تتركني أموت وحدي، اذ ليس منهما احد بجانبي...»

☆ ☆ ☆

فتركتها وخرجت وانا لا أملك عبرتي، وقد أثرت فيَّ حكايتها تأثيراً مزعجاً، وطفقتُ من ساعتي أبحث عن هذا الفتى.. وأنا أودُّ من صميم القلب أن ألقاه يوماً لأدعوه... مجرماً... وقاتلاً...

«المحرر»

التروي والتأني

بقلم حضرة الاب الفاضل العلاَّمة

الخوري بطرس البستاني

لا يسلم المرء من غوائل الغرور، ولا يأمن مغبات الزلل، ما لم يكن يقظ الفؤاد، شديد الحذر، متثبتاً في اعماله، متروياً في اقواله، تحرُّزاً من مكروه يلم به اذا تعجَّل في امر قبل تدبُّر عقباه، او فاه بكلمة لم يصغها لسانه من معدن الروية والفكرة

والاعمال كلما جدَّت ودقَّت استلزمت من التبصر والتأني ما لا يخفى على الحكماء مقداره. ولا يجمل الشروع فيها قبل ان تُرسم لها خطة جلية تتكفل

بوجوه الاحكام والاتقان، وتؤدي الى الظفر بالمراد من أيسر سبيل، على نحو ما يجري عليه العاقل المتبصر، فانه يحوم حول مسعاه ويتعهده بالنظر الصادق قبل ان يصمم النية عليه، حتى اذا كان على ثقة من النجح اخذ فيه بحزم وضبط، وإلا عاد الى تذليل صعابه، تحامياً من ان يرتد على اعقابه خائباً لاول شوط يجريه في مجاله. بخلاف اللجوج العجول، فهو يقحم في اموره على غير هداية، ويرمي الكلام على عواهنه بدون تفكر في مصيره حتى يلقى من التسرع الامرَّين

ولا يخفى ان المرء اذا اغرق في البحث عن مناحي الصواب لا تختفي عنه المراشد، واذا تأنى في مساعيه فاز برائعات امانيه، واذا استحاط في جميع اموره قلما يعثر، واذا عثر مرة استدرك الخلل في الآتي حتى يصبح من الحكمة والخبرة بحيث يُرجع الى رأيه في جميع المشاكل. واما الغافل المتسرع فانما يهيم على وجهه في ما يعمله ويقوله ويركب مطية الخطل والجهل، فيقول ما لا يعلم ويُجيب قبل ان يفهم ويعزم قبل ان يفكر، حتى تأتي اعماله مختلة واقواله مشوشة

وبديهيٌ ان للمحادثة سنناً يُحظر تعديها، وللمخالفة مواضعات لا يُتسامح في تخطيها، وهي تختلف باختلاف المقامات والاحوال بحيث ان الذي يُعَدُّ من المستملحات في محاضرات الاصدقاء يكون من المخزيات المستقبحات امام الكبراء والعظماء، والذي يستحسن في موقف الهزل والادلال يستهجن في معرض الجد والتحفظ، والذي يحلو ذكره على مسمع الأودّاء يُنكر ايقاعه في آذان الاعداء، الى آخر ما هنالك مما يضيق المقام عن استيفائه

ومن هنا تُعرف اهمية التفكر ولا سيما ان الحديث رائد العقل ومرآة القلب، وهو الدليل على ادب المرء ومبلغه من الحكمة والخبرة، فاذا لم يتفرس فيما يقوله هذر وهذى وكان هراؤه مسقطةً له من عيون الناس. وربَّ كلمة فرطت من المهذار تُنزل عليه سيولاً من الويلات، ورب عبارة نفثت في الالباب

سُمَّ البغضاء وغرست بين المتصافين بذور الشحناء . ومتى نزلت الثرثرة في امة كثرت عثراتها وكبواتها واختلطت امورها، وانتشرت فيها اعضل الادواء العمرانية واخبث المساوىء الاجتماعية حتى تفسد اخلاقها وتذهب نضارة آدابها. واذا دَوِيت اخلاق امة تصدَّعت أُلفتها وصارت الى الاضمحلال، كما اصاب الممالك المنقرضة القوية في الاجيال الغابرة مع انها كانت باسطة سيادتها على الدنيا باسرها

وعلى الجملة فان آفات المدنية واصناف الشقاء انما تنطلق سهامها على المجتمع الانساني من كنانة السهو والغفلة، فاذا تغلّب الطيّاشون في احد الاصقاع على اصحاب الرصانة والتعقل سادت المقابح واستفحل الداء وعظم البلاء . ومهما يكن العمل طفيفاً وحقيراً فلا بدَّ من تأمله قبل الشروع فيه، ولعل الاستخفاف به يورث من الضرر ما ليس في الحسبان، على حدّ ما يقع للتاجر اذا اهمل ضبط حسابه، ولربة المنزل اذا لم تعبأ بالاشياء الزهيدة، وللرئيس اذا اغضى الطرف عن مرؤوسيه لدى ارتكاب الصغائر ، حتى يتسع الخرق ولا يبقى من سبيل الى سده . ولو تبصرت هذه الفئة فيما يلحق بها من المخاسر من جرَّاء تهاونها بالدقائق لاهتمت بها اي اهتمام، ولا سيما بعد اذ تعرف ان علم الاقتصاد انما بنيت قواعده على الاحتفاظ بادق الامور، وهو العلم الذي يعدُّ من اقوى اسباب الفلاح وأغزر موارد الثروة . . .

وكيفما قلّبنا نظرنا في جميع الطبقات نرى التروي من اقوى دعائم العمران كما ان العجلة هي جرثومة الخراب ومنبع الشقاوة . فلو كان يفكر المجرمون في فظاعة جناياتهم والباغون في مراتع بغيهم والمفسدون في نتائج إفسادهم لأقلعوا عن منكراتهم ومعاصيهم وكَفَوا الدنيا مؤونة شرّهم وطيشهم . وكذا قل عن الجهال والضالين والسكيرين والمقامرين وكثيرين غيرهم ممن يعبثون بالامن

العام ويعكرون صفاء الافكار

على ان المرء يلزم ان يصحبه التروي في جميع مراحل حياته اذا كان في قلبه منزع الى الفلاح . فالطالب اذا افتكر في الغاية التي من اجلها انخرط في سلك المحصلين عانى من الجهد في دروسه واصلاح نفسه ما يجعله من المبرزين في مضمار العلم والعمل . والآباء اذا انعموا النظر في محاسن التربية لا يدّخرون وسعاً في تهذيب بنيهم و تنشئتهم على الخصال الشريفة والشيم المحمودة التي تعينهم على ان يكونوا في وطنهم المحبوب من ارباب النهضة والمروءة . والفقراء اذا نظروا الى البلايا التي يتهدّدهم بها الدهر نشطوا الى العمل بثبات وحزم تصوناً من نكبات البؤس ومفاسد الفراغ . والاغنياء اذا اختبروا تقلبات الزمان استنزلوا منها لانفسهم العِبَر حتى جدّوا و كدّوا ولم يتباطأوا في تأديب بنيهم وتنشيطهم الى السعي وراء خيرهم وخير بلادهم

واذا كان التروي لا بد من ان يتقيد به الافراد حتى يحكموا اعمالهم ويتانقوا فيها ، فلأن يتقيد به الذين تتعلق بهم مصلحة الجمهور بالاولى . لان الرجل الفرد اذا اختلّت اعماله انحصر الضرر فيه ، او ربما تطرّق الى نفر قليل من ذوي قرباه ، واما الرجل العمومي فانه بتقصيره وغفلته يلحق الاذية بالوف ممن لهم علاقة بمهنته او منصبه ، كالاطباء والصحافيين والمحامين والقضاة والاساتذة ، فان هؤلاء وغيرهم ممن بيدهم الشؤون العمومية ينزلون بالامة اذا غفلوا وشطوا مضرّات تشذ عن العدّ

ولعل الرجل الفرد اذا كان لكلامه تأثير في القلوب نظراً لعلو منزلته عند قومه يحدث عن بوادر لسانه وعثرات يراعه ما يحدث عن غفلات الرجل العمومي ، وذلك يغلب في البلاد المستحكم فيها الجهل حتى ان اهلها ينقادون انقياداً اعمى الى زعيم فيهم منوطةٍ ادارتهم الضعيفة بارادته القوية ، وهم عاجزون

عن تمييز النافع من الضار والصالح من الفاسد، فان جرم الشطط مع اشباه هؤلاء الاغرار اعظم من ان يُحَدّ وأوسع من ان يوصف

ولا مشاحة ان الرجال العظام الذين يمثلون امة كبيرة يسيئون بتهورهم وتعسفهم الى مجموع تلك الامة، ويكون ذنبهم على قدر الذنوب التي يجترحها كل فرد من بنيها في حقها اذا لم يخلص لها الخدمة، او خانها من حيث لا يقصد الخيانة. بل اذا تعمد اذاها لا يعادل منكره هفوةً من الرئيس ولو لم تكن منه عن عمد، وذلك لما عقد بينه وبين الامة من العهود على خدمتها بامانة ويقظة واخلاص. فاذا غفل عن الاعتناء بقضاء ما عليه اجترح فظيعة لا تغتفر، ونكث بوعده مع كل فرد من ابناء امته . . .

وهل من مجال للارتيــــاب في صحة هذا القول، ولنا شواهد عدَّة على ان سقطات اولياء الحلّ والربط هي الضربة القـــاضية على مجموع الامة . فكم من حرب شبَّ وطيسها بين الممالك لعبارة فاه بها عميد القوم قبل ان تختمر في فكره. وكم من بلية اذاقت الرعية الصاب والعلقم لزلة سياسية وقع فيها ممثلها ومعتمدها على غير ترو. وكم من فائدة ضاعت بين الاغفال والاهمال. وكم من نعمة ذهبت بين اللهو والهوى. وكم من مقامٍ تداعت جدرانه وتقوضت اركانه لخطاب القاه الزعيم على غير هداية ولا دراية

وان أبعد الناس في الكون حنكةً وأبلغهم حكمة الذين تفردوا بالانتباه والتفكر والتثبت حتى تلقنوا من الدهر دروساً اصبحوا بها اساتذة لامتهم وعماداً لها في النائبات . وما من احد معذور عن ترك التجمل بهذه الحلية الفاخرة، فاذا كان لا يريد ان ينعم النظر فيما يفعله ويقوله حرصاً على سعادته وكرامته، فان للامة حقًّا عليه في ذلك، لانه كما يحق له ان يطـــالب الحكومة بما فيه راحته وسلامته فلها ان تُلزمه المسلك الواجب للامن العام

وما احوجنا نحن الى إعمال الروية في جميع شؤوننا لاننا في اول درجة من مرقاة العمران، ولا سبيل لنا للصعود الى ذروتها بدون ان نحدّ غرار الذهن ونعمل الفكر في جميع اعمالنا . فبالتروي نتصل الى تهذيب نفوسنا وترويض طباعنا وتفقيه عقولنا، وبه ننهج المناهج المحدودة ونحفظ المحبة والاتحاد فيما بيننا ونعيش بسلام ورغد وسكينة، وبدونه لا نتقن علماً ولا نحكم فنًّا ولا نحسن عملاً ولا نحدث اختراعاً ولا ندرك أدبا

فلنحرص اذاً على هذه المزية البهية، حتى اذا تحلينا بها تصرّفنا تصرُّف الحكماء ونجحنا نجاحاً باهراً واوجدنا في موطننا ناشئةً مهذبة تدرُّ عليه خيرات لا تُحصى، فلا نرى من ثمّ امامنا الا نفوساً كبيرة مملوءة من الحمية، وقلوباً مفعمة من القوة والحزم والنشاط، وعقولاً مشبعة من الحكمة والسداد، وصدوراً مزدانة بأجمل المناقب واشرف الاخلاق. فتفرغ السجون من الأئمة، وتخلو الشوارع من السفلة، وتمتلىء الحقول من رجال العمل والكد، وتتسع ايدينا ومعاملنا منسوجات رائعة ننافس بها ارقى الشعوب، ونرسل غلال اراضينا الى ابعد الاصقاع، ويقبل التجار على شراء سلعنا من اقصى الانحاء وننير بآثار ذكائنا جميع اقطار العالم. وما ذلك بكثير على أُمة تتروّى في اعمالها واقوالها وتسهر على شؤونها ومصالحها



اوربا في افريقيا

افريقيا هي الثانية في الاتساع بين قارات الارض الست . يقطنها البيض على سواحل البحر المتوسط وهم الاقلية ، والزنوج في ما سوى ذلك وهم الا كثرية والاحباش منهم . ولغاتهم العربية في الشمال والشمال الشرقي ، والحبشية في الشرق والزنجية على انواعها في ما سوى ذلك . واكثر سكانها وثنيون ، والبقية مسلمون ومسيحيون ويهود . وهم يعيشون في الغالب على الزراعة وتربية المواشي . والصناعة منحطة في جميع انحاء افريقيا ، إلا القطر المصري

عرف الانسان هذه القارّة قبل اوربا ، ودخلها الآريُّون والساميُّون منذ اقدم القرون وانتشروا على سواحلها الشمالية ، وبقي اكثر اصقاعها مجهولاً ، لا يعرف احد شيئاً عن مساحتها وتخطيطها حتى القرن الخامس عشر بعد المسيح

وفي سنة ١٤٨٧ اكتشف برثلماوس دياتس البرتغالي طرفها الجنوبي (رأس الرجاء الصالح) . وفي سنة ١٤٩٩ طاف فاسكو دي غاما الرحالة الشهير (وهو برتغالي أيضاً) حولها في رحلته الى الهند

واخذ الاوربيون من ذلك الحين يتطالون بابصارهم الى هذه القارّة ويَفِدون اليها من كل حدب للتجارة والاستعمار . غير ان حركة الاستعمار في القرون الثلاثة التي تَلَت اكتشاف دياتس وغاما كانت بطيئة ، فلم يطأ اهل اوربا وقتئذٍ الا الاصقاع الساحلّية ، لانهم لم يجسروا ان يرودوا الاصقاع الداخليّة . وظلّت هذه القارّة الى آخر القرن الثامن عشر للاتراك العثمانيين والعرب والزنوج ، الا

بضعة اقاليم استولى عليها البرتغاليون والاسبانيون، وجاء بعدهم الهولنديون فأنشأوا عند رأس الرجآء الصالح مستعمرة الكاب . وقد استولى الهولنديون على رأس الرجآء هذا سنة ١٦٠٠ وبنوا فيه قلاعاً وحصوناً صارت بعد ذلك مدينةً دُعيت «مدينة الراس» او «كاب تون» . وهي الان قاعدة مستعمرة افريقيا الجنوبية وسكانها نحو ثمانين الفاً وهم من شعوب مختلفة، ولها مرفأ جيد ذو اهمية كبيرة للسفن البريطانية

وفي فجر القرن التاسع عشر اشتدَّت المنافسة بين الدول الاوربية على استعمار الاقطار الافريقيَّة، وكانت حروب نابوليون بونابرت تمهيداً لذلك . فاستولى الانكليز على مستعمرة الكاب . ورحل الهولنديون بعد ان غُلبوا على امرهم الى الشمال واحتلوا ضفاف نهر الاورنج والتخوم التي تليه من جهة الشمال . ورسخت قدم فرنسا في السنكال، وكانت (فرنسا) قد خسرت آنئذٍ كثيراً من املاكها في اميركا فأحبَّت ان تعتاض عنها بما تحتلُّهُ من البلدان في افريقيا، ووجَّهت عنايتها أيضاً الى احتلال القطر المصري ولكنها باءت بالفشل

وفي سنة ١٨١٥ كانت المستعمرات الاوربية في افريقيا ما يأتي : الكونغو وكينيا وسوفال للبرتغال . والكاب وسيراليون لانكلترا . والسنكال لفرنسا . وموزمبيق لاسبانيا

وبعد عهد الحروب البونابرتية بعشرين سنة امتدَّت سلطة الفرنسويين الى جهات أُخَر من هذه القارَّة، فاستولوا على بلاد الجزائر (سنة ١٨٣٠) . وفقد الاسبانيون معظم املاكهم في الكونغو والسوفال، واخذ الانكليز قسماً من السنكال الفرنسوي . وتألفت في ذلك الساحل بمساعي بعض الدول جمهورية زنجية مستقلة، هي ليبريا، لتكون ملجأ للنازحين اليها من زنوج الولايات المتحدة الاميركية

وتلا ذلك ثلاثون سنة استولى الاوربيون فيها على اكثر البلدان الافريقية ولم يبقَ في افريقيا على استقلاله التام الا الحبشة. ففي سنة ١٨٨١ احتلّت فرنسا تونس. وانكلترا القطر المصري (سنة ١٨٨٣) ثم احتلّت السودان واصبح مع اوغندا سنة ١٨٩٩ من املاكها. واستولت فرنسا على جزيرة مدغسكر، وهي اكبر جزائر افريقيا واكثر اتساعاً من فرنسا نفسها، وامتدّ نفوذها في مراكش حتى دانت هذه البلاد لها ثم دخلت في حمايتها. واستولت المانيا على الكاميرون وعلى بلاد فسيحة بالقرب من الكاب واوغندا. ونشبت حرب البوير الشهيرة كان من اعقابها ان انضمّ الى انكلترا جمهوريتا الترانسفال واورنج وبلاد البشوان وروديزيا. وقضت فرنسا على استقلال الاشنتيين والداهوميين واحتلّت ضفاف نهر النيجر. إلا مصابّه فانهـــا أصبحت لانكلترا. واستولت بلجكا على بلاد الكونغو. والبرتغال على انغولا. وايطاليا على اريتريا وبعض الصومال، وقد تحفّزت لاستعمار جميع البلاد التي تكتنف الحبشة ليسهل عليها امتلاكها، غير ان الاحباش هبّوا في وجهها وقتئذٍ ودافعوا عن حياضهم دفاع الابطال، وكانت الموقعة الفاصلة بينهم وبين الايطاليين في (أدوا) سنة ١٨٩٦. ولانكلترا من بلاد الصومال الساحل الشمالي

ثم استولت ايطاليا على طرابلس الغرب والقيروان، وخسرت المانيـــا في الحرب العظمى مستعمراتها فاستولت عليها انكلترا وحليفاتها، ولم يبق في افريقيا من البلدان المستقلة استقلالاً تامًّا او شبه استقلال الا القطر المصري والحبشة. ولله وحده العلم بمصير هذه القارّة العظيمة، ومتى يفيق اهلها من نومهم العميق ويهبّون لاسترداد حريّتهم والفوز باستقلالهم

(خ. ب.)

المرأة الجديدة

كيف تقضي المرأة المثرية نهارها

(لكاتب فاضل)

المرأة الجديدة في اوربا على العموم هي المرأة التي وُجدت بعد الحرب العالمية الاخيرة . وليس المقصود من قولنا (وُجدت) انها هي التي وُلدت اثناء الحرب او بعد انتهائها . لان هذه الفتاة وان تكن محل بحث ومقارنة بينها وبين الفتاة التي عرفت قبل الحرب ، ولكننا نريد المرأة التي تزوجت وصار لها بيت واسرة ، فهي امرأة عاشت قبل اعلان الحرب في سنة ١٩١٤ ثم طول مدة الحرب ثم الى اليوم ، فترك كلٌّ من هذه الادوار الثلاثة اثراً في نفسها

ونحن نسمّيها امرأة جديدة ، لان الباحثين في العادات والاخلاق والاحوال النفسية يلاحظون ان الحرب ادخلت على عاداتها واخلاقها بل على مداركها تغييراً يجعلها امرأة غير التي عرفوها قبل الحرب . فهم من اجل ذلك يسمونها المرأة الجديدة اي ذات العادات والاخلاق والمدارك الجديدة

وقد عقدت احدى المجلات الفرنسية بحثاً بعنوان (المرأة الجديدة في فرنسا) رأينا ان نلخصه فيما يلي :

هيا بنا نتابع السيدة الفرنسية الثريَّة من الساعة التي تستيقظ فيها من النوم

الى الساعة التي تستقبل فيها زوارها في المساء لنرى كيف تقضي نهارها

☆
☆ ☆

نرى اولاً هذه السيدة تتناول الشاي والحليب بعد ان استيقظت من نومها وجهزت نفسها للفطور، وهي في اثناء ذلك تفكر تفكيراً عميقاً . ففي اي شيء هذا التفكير ؟

— في ما عليها ان تفعله في النهار لتضع له برنامجاً تنفذه . فعليها مثلاً ان تفض بريدها وان تجيب على ما فيه . وان تزور بعض المخازن لتشتري اشياء تريدها . وان تذهب الى طبيب اخصائي لانها لم تسترح في النوم . . او . . او . . الى آخر ما هناك من الشواغل والاعمال

☆
☆ ☆

ثم نرى ثانياً هذه السيدة نفسها بعد ان فرغت من تناول الشاي ورسمت برنامج نهارها انتقلت الى قاعة الزينة وجلست امام مرآة على منضدة وسلمت نفسها لاربعة اشخاص، رجلين وامرأتين، فاحدى المرأتين تمسح لها انامها وأظافر يديها بالعقاقير والادهان العنّابية الجميلة، والثانية تدلك عضلات جسمها تدليكاً رقيقاً . اما الرجلان فواحد منهما يمسح لها اصابع واظافر قدميها ثم يدهنها بالعقاقير والالوان التي تناسبها، والثاني يحلق لها الزوائد من شعرها، ثم يعطره ويصففه على الشكل الذي تحبه . وكثيراً ما يكون شعرها في كل يوم بشكل جديد

☆
☆ ☆

والان ها هو الصباح قد انقضى في زيارات للمخازن، او في الوفاء بمواعيد كانت قد ارتبطت بها من قبل، او في عيادات الاطباء الاخصائيين، او في غير

ذلك مما يشبهه

انقضى الصباح وآن اوان الغداء، فاين تتغدى ؟

لو انها عادت الى البيت لوجدت افخر مكان وأجمل اثاث وأحسن طعام ولكنها تريد مكاناً غير الذي ملّت النظر اليه، وطعاماً غير الذي ألِفت ان تتناوله، وهواءً غير الذي اعتادت ان تستنشقه. واذن فهي تتناول الغداء في مطعم مكشوف للهواء بين النباتات والازهار . . . وهي لا تفعل ذلك دائماً وانما تفعله في بعض الاوقات . . او قل في كثير من الاوقات . .

هي تفكر في اثناء تناولها الطعام وترسل ذهنها الى بعيد . — ففي اي شيء هذا التفكير ؟

— في الواجبات التي عليها ان تقوم بها بعد الظهر لترسم لها كذلك برنامجاً تنفذه

☆
☆ ☆

وطبيعي ان يكون في اول هذا البرنامج ان تعود الى البيت لتغير ملابسها . فاذا غيرتها واخذت الحظ الذي يرضيها من الزينة ركبت سيارتها وساقتها بنفسها فذهبت الى خياطة او مخزن ملبوسات او جوهري او زيارة صديقة او حفلة شاي، وهي تقود السيارة قيادة ماهرة لا تفقد فيها شيئاً من صوابها وذكائها مهما ازدحمت الطريق . .

☆
☆ ☆

حتى اذا انقضى النهار وجاء المساء عادت الى البيت واخذت تستعد لمقابلة من سيقضون السهرة عندها من الزوار . فاذا فرغت من اعطاء الاوامر لخدمها

ودنت ساعة الاستقبال دخلت قاعة الزينة كما دخلتها في الصباح، فلبست ملابس السهرة وتزينت الزينة التي تناسبها، ومعها خادماتها يساعدنها على ذلك..

اما السهرة فكيف تقضيها؟ أفي الرقص الى ما بعد منتصف الليل؟ ام في الالعاب الى الصباح؟...

هذا هو مثال المرأة الثرية الجديدة!...

* * *

وبعد ذلك نسأل: اين من كل هذه الزيارات والمقابلات والاستقبالات والسهرات وركوب السيارات والتردد على المخازن والتزيُّن وتغيير الملابس صباحاً وعصراً ومساءً — اين من كل ذلك تدبير البيت والاهتمام بالزوج والعناية بالاطفال والاشراف على الخدم؟..

لا شيء على ما رأينا...

ولا نظن ان وجود هذا الصنف من النساء الثريات مرغوب فيه لفائدة الاسرة او لفائدة الوطن، وان كان مرغوباً فيه من وجهة واحدة هي استخدام المال والصحة في التمتع بالحياة تمتعاً اساسه الانانية

وللسيدات ان يشتهين نوعاً من الحياة كهذا، ينصرفنَ فيه الى اشخاصهنَّ دون غيرها..

اما الرجال فلا نظن انهم يشتهون وجوده...

اليو - يو (YO - YO)

هي هذه اللعبة الطريفة التي ظهرت عندنا فجأةً وتلهّى بها الكبار والصغار رجالاً ونساء وفتياناً وفتيات، واقبلوا عليها اقبالاً عجيباً غريباً قلّ ان يكون له نظير، وورد منها الى هذه البلاد والى كل بلد آخر من هذا الشرق المقادير التي لا تُعد ولا تحصى، وكانت اكثر من كل سلعة اخرى صادفت هذا الاقبال العظيم وحظيت بمثل هذا النجاح الباهر

وللناس في امر هذه اللعبة آرآء تتناقض كل التناقض. فقد حبذها البعض ورحبوا بها كثيراً وعدُّوها لهواً بريئاً. وأنكرها آخرون وألحوا باللوم على من أُولعوا بها. وأفرط غيرهم في ذمها وانتقدوا لاعبيها حتى بلغ بهم الامر ان جعلوها في جملة الجرائم او الاوبئة الفتّاكة كالطاعون والهيضة الوبائية...

ومهما يكن من امرها وامر المفتونين بها فقد عنّ لنا ان نذكر للقارىء شيئاً عن اصلها وتاريخها معتمدين في ذلك على بعض المجلات الاوربية. فمما جاء فيها ان هذه (اليويو) نشأت اولاً في بلاد اليونان على عهد بريكلس. ثم في رومة على عهد اوغسطس. وبعد عصور كثيرة ظهرت في فرنسا ومنها انتقلت الى انكلترا في عهد الثورة الفرنسية المشهورة، وكان قد نزح كثيرون من الفرنسويين الى انكلترا فحملوا معهم هذه اللعبة اليها، ولكنها اختفت بعد حين، وعادت الان فظهرت من جديد. وهي في كل عهد وزمن تتغير هيئاتها وتتطور احجامها

وقيل ان اليويو (او نوع منها) ظهرت اولاً في جزائر الفيليبين، ومن هناك اسمها ومعناه (إرجع، إرجع). واتفق ان رآها سائح اميركي يقال له

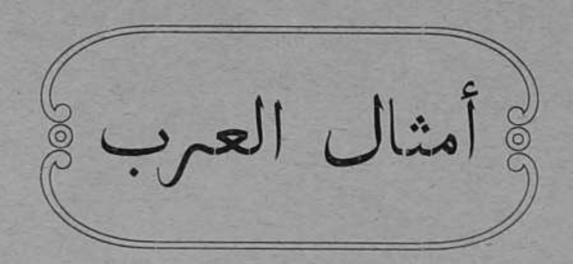
دانكان فأعجبته وحملها الى الولايات المتحدة وعني بنشرها . ورافقه من الفيليبين رجلان كانا من أبطال هذه اللعبة . ولم تمض الا مدة قصيرة حتى انتشرت وعمت ، ورأى فيها الاميركيون أُلهوَّةً جميلة فتهافتوا على استعمالها تهافتاً عظيماً من جميع طبقات الامة

فلما رأى دانكان ذلك سافر الى اوربا ومعه هذه (اليويو)، فعادت وانتشرت في انكلترا وفرنسا وكثرت معاملها في البلادين وتفنن اهل الصناعة والابتكار في صنعها على اشكال وأحجام شتى . قيل ان الذي بيع منها في انكلترا فقط نحو عشرين مليوناً في بضعة اشهر . ثم انتشرت في بلدان اوربية اخرى وبلغ الاقبال عليها في كل مكان مبلغاً عظيماً .

وانتقلت اليويو بعد ذلك الى مصر وعمّت القطر كله وجاء بعض ابطالها من اوربا ولعبوا اشواطاً من هذا اللعب في عدة حفلات في دور السينما والاوبرا . ثم انتقلت من مصر الى فلسطين وراح الناس يتفننون في هذه الالعوبة الجديدة واقتبسوا عن غيرهم كثيراً من انواعها كالغزالة ، ونزهة الكلب ، والنزاع ، وحول العالم ، وفوق الشاطىء ، والصاعد ، والثمانية الكبيرة ، والراقصة الاسبانيولية ، وغيرها . ولعلهم اقتبسوا بعض انواع اللعب دون ان تذيع بينهم اسماؤها . . .

هذه هي اليويو . وهذه هي خلاصة تاريخها ، اوردناها ونحن نأمل ان تكون هذه اللعبة ملهاةً للصغار فقط يتلهون بها في اوقات لعبهم ومرحهم ، لا ان تفتن الكبار كما رأينا ، فيشغف بها الرجال والسيدات أيضاً في الشوارع وفي كل مكان ، لئلا يقال : هنيئاً لامة ، رجالها لاهون باليويو ، بينما هم يويو في ايدي غيرهم . . .

داود كوردي



أمثال العرب

وهي الامثال التي وضعها العرب في الجاهلية وصدر الاسلام، وكان لها حظ وافر من رصانة القول، وإتقان التشبيه، وحسن الايجاز، وجمال الحكمة، وروعة الموعظة

اشتهر العرب بالامثال كما اشتهروا بالشعر شهرة لم تفقهم بها امة اخرى. ولعلهم فاقوا بهذا وذاك سائرَ الامم. والامثال عندهم إما حقيقية، وهي ما كان اصلها معروفاً، فنُقلت عنه وسيقت له. وإما حِكمية او فَرْضية، وهي اذا قيلت على لسان حيوان او نبات او جماد

وقد اكثر قدماء العرب من ضرب المثل. وتفننوا في ذلك وأبدعوا وأجادوا نظماً ونثراً. فلم يتركوا باباً الا ولجوه، ولا طريقاً الا سلكوه. وخلَّفوا لنا الشيء الكثير، مما لا نزال نتناقله عنهم ونرويه، ونجد فيه كل جمال فني، و كل بلاغة رائعة

قال ابن المقفع: اذا جُعل الكلام مثلاً كان أوضح للمنطق، وآنق للسمع، وأوسع لشعوب الحديث

وقال ابرهيم النظام: يجتمع في المثل اربعة لا تجتمع في غيره من الكلام: ايجاز اللفظ، واصابة المعنى، وحسن التشبيه، وجودة الكناية. — فهو نهاية البلاغة

وقال المبرّد: المثل مأخوذ من المثال، وهو قول سائر يُشبَّه به حال الثاني

بالاول . والاصل فيه التشبيه . فقولهم مثل بين يديه اذا انتصب ، معناه أشبهَ الصورةَ المنتصبة . وحقيقة المثل ما جُعل كالعَلَم للتشبيه بحال الاول كقول كعب بن زهير :

كانت مواعيدُ عرقوبٍ لها مثلاً وما مواعيدها الا الاباطيلُ

فمواعيد عرقوب عَلَمٌ لكل ما لا يصح من المواعيد

والى القراء طائفة من الامثال المشهورة ، نذكر الان منها شيئاً ونرجيء الباقي الى فرصة اخرى . وقد عُنينا بشرحها وبيانها على قدر ما اتصل بنا من امرها ، ونحن نرجو ان يكون من ذلك للقراء فكاهة طريفة وفائدة ادبية لغوية عظيمة

---

١ — ﴿ إياكِ أعني واسمعي يا جارَه ﴾

اول من قال ذلك سهل بن مالك الفَزاريّ . وذلك انه خرج يريد النعمان ، فمرّ ببعض احياء طيّ فسأل عن سيد الحيّ ، فقيل له حارثة بن لأم ، فأمّ رَحْلَهُ ، فلم يصبه شاهداً . فقالت له اخته : انزل في الرَّحب والسَّعة . فنزل فأكرمته ولاطفته ، ثم خرجت من خبائها ، فرأى أجمل اهل دهرها وأكملهم . وكانت عقيلة قومها وسيدة نسائها . فوقع في نفسه منها شيء ، فجعل لا يدري كيف يُرسل اليها ولا ما يوافقها من ذلك . فجلس بفِناء الخباء يوماً وهي تسمع كلامه ، فجعل ينشد ويقول :

يا اخت خير البَدْوِ والحضارَهْ كيف تَرَينَ في فتى فَزارَهْ

أصبح يهوى حُرَّةً مِعطارَهْ إيّاكِ أعني واسمعي يا جارَهْ

فلما سمعت قوله عرفت انه إياها يعني فقالت : ما ذا بقول ذي عقل أريب ،

ولا رأي مصيب، ولا أنف نجيب. فأقم ما أقمتَ مكرّماً، ثم ارتحلْ متى شئت مسلّماً. ويُقال اجابته نظماً فقالت:

انيِ أقولُ يـــا فتى فَزَارَهْ   لا أبتغي الزوجَ ولا الدَّعَارَهْ
ولا فِراقَ اهل هذي الجارَهْ   فارحَلْ الى اهلك باستِخَارَهْ

فاستحيا الفتى وقال: ما أردتُ مُنكَراً واسَوْأتاه. قالت: صدقتَ. فكأنها استحيَت من تسرُّعها الى تُهمته. فارتحل. فأتى النعمانَ، فحيّاه واكرمه. فلما رجع نزل على اخيها. فبينا هو مقيم عندهم تطلّعت اليه نفسُها، وكان جميلاً، فأرسلت اليه: ان اخطُبني إن كان لك اليَّ حاجة يوماً من الدهر، فاني سريعة الى ما تريد. فخطبها وتزوّجها وسار بها الى قومه. — يُضرَب هذا المثل لمن يتكلم بكلام ويريد به شيئاً غيرَهُ

---

٢ — ﴿لا يُرسلُ الساقَ الا ممسكاً ساقاً﴾

اصل هذا في الحِرباء يشتد عليه حرُّ الشمس فيلجأ الى ساق الشجرة يستظل بظلّها فاذا زالت عنه تحوّل الى اخرى أعدّها لنفسه. ويقال بخلاف هذا، قال بعضهم: لا بل كلما اشتد حر الشمس ازداد نشاطاً وحركة، يعني الحرباء، فاذا سقط قرص الشمس سقط الحرباء كأنه ميت، واذا طلعت تحرك وحَييَ، وانما يتحول من غصن الى آخر لزوال الشمس عنه. — يُضرَب لمن لا يدع له حاجة الا سأل اخرى. واشتهر الحرباء بكثرة الوانه، فهو تارة أصفر وتارة أخضر وتارة اسود، واكثر اسوداده اذا خاف، ويضرَب به المثل في التقلب. وهو مُعرَّب (حُرْبا) بالفارسية ومعناه حافظ الشمس. ومن امثالهم ايضاً: أصرَدُ من عين الحرباء اي ابرد. يُضرب لمن اصابه برد شديد لان الحرباء يدور مع الشمس

ويستقبلها بعينه ليستدفئ بها . ولذلك شبّه ابن الرومي الرقيبَ بالحرباء في قوله :

ما بالها قد حسنت ورقيبها ابداً قبيحٌ قُبِّح الرقباء
ماذاك الا انها شمس الضحى ابداً يكون رقيبها الحرباء

---

٣ — ﴿ أحمقُ من جُحا ﴾

هو رجل من فزارة وكان يكنى ابا الغصن . فمن حمقه ان عيسى بن موسى الهاشمي مرَّ به وهو يحفر بظهر الكوفة موضعاً ، فقال له : مالك يا ابا الغصن ؟ قال : اني قد دفنتُ في هذه الصحراء دراهم ولستُ أهتدي الى مكانها . فقال عيسى : كان يجب ان تجعل عليها علامة . قال : قد فعلتُ . قال — ماذا ؟ قال : سحابة في السماء كانت تظلُّها ولستُ أرى العلامة . . ومن حمقه أيضاً انه خرج من منزله يوماً بغلس فعثر في دهليز منزله بقتيل . فجرّه الى بئر في المنزل فألقاه فيها . فنَذِرَ به ابوه فأخرجه وغيَّبه وخنق كبشاً حتى قتله وألقاه في البئر . ثم ان اهل القتيل طافوا في سكك الكوفة يبحثون عنه ، فتلقاهم جحا فقال : في دارنا رجل مقتول فانظروا أهو صاحبكم ؟ فعدلوا الى منزله وأنزلوه في البئر . فلما رأى الكبش ناداهم وقال : يا هؤلاء هل كان لصاحبكم قرن ؟ فضحكوا ومرُّوا . . ومن حمقه ان ابا مسلم صاحب الدولة لما ورد الكوفة قال لمن حوله : ايكم يعرف جحا فيدعوه اليَّ ؟ فقال رجلٌ منهم يقال له يقطين : انا . ودعاه . فلما دخل لم يكن في المجلس غير ابي مسلم و يقطين ، فقال : يا يقطين أيكما ابو مسلم ؟ . .

---

٤ — ﴿ أحمقُ من هَبَنَّقَة ﴾

وهبنّقة هذا رجلٌ من بني قيس بن ثعلبة ، يُضرَب به المثل في الحمق . وبلغ

من حمقه انه ضلَّ له بعير فجعل ينادي : من وجد بعيري فهو له . فقيل له : فلِمَ تنشده؟ قال : فاين حلاوة الوجدان؟ . . ومن حمقه انه اختصم بنو طفاوة وبنو راسب (وهما قبيلتان) في رجل ادّعاه هؤلاء وهؤلاء . فقالت الطفاوة هذا منا . وقال بنو راسب بل هو منـــا . ثم قالوا : رضينا باول من يطلع علينا . فبينما هم كذلك اذ طلع عليهم هبنّقة . فقصوا عليه قصتهم . فقال : الحكم عندي في ذلك ان يُذهَب به الى نهر البصرة فيُلقى فيه ، فان كان من بني راسب رسب ، وان كان من بني طفاوة طفا . . ومن حمقه انه اتخذ قلادةً من الوَدَع والعظام والخزف وجعلها في عنقه لـكي يعرف بها نفسه اذا ضلَّ . وكان له اخ يقال له مروان ، فسرق القلادة من عنقه وهو نائم وتقلّدهـا . فلما أصبح ورأى القلادة في عنق اخيه قال : يا اخي ! انت انا ، فمن انا؟ . . ومن حمقه انه كان يرعى غنم اهله ، فيرعى السمان في العشب وينحّي المهازيل . فقيل له : ويحك ، ما تصنع ؟ قال : لا أُفسد ما أصلحه الله ، ولا أُصلح ما أفسده الله

---

٥ — ﴿ مقتلُ الرجل بين فـكّـيه ﴾

المقتل القتل ، وموضع القتل أيضاً . ويجوز ان يُجعل لِلسـان مبالغةً في وصفه بالافضاء الى القتل . ويجوز ان يكون بمعنى القاتل ، فالمصدر ينوب عن الفاعل ، كأنه قال : قاتِلُ الرجلِ بين فـكّـيه . واول من قال ذلك اكثم بن صيفي حكيم العرب في وصيتهِ لبنيه وكان قد جمعهم فقال : تبارّوا فان البِرّ يبقى عليه العدد . وكُفُّوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فـكّـيه . ان قول الحق لم يدع لي صديقاً . الصدق منجاة . لا ينفع التوقي مما هو واقع . من قنع بما هو فيه قرّت عينه . التقدم قبل التندم . أُصبح عند رأس الامر أحَبُّ اليَّ من ان أُصبح عند

ذَنَبه . لم يهلك من مالك ما وعظك . البطر عند الرخاء حُمق والعجز عند البلاء أمن . لا تُجيبوا فيما لا تُسألون عنه ولا تضحكوا مما لا يُضحَك منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . إن تَعِش ترَ ما لم تره . المكثار كحاطب ليل . — الى غير ذلك مما جرى كُلُّهُ مجرى الامثال . وقد أحسن من قال : رحم الله امرأ أطلق ما بين كفَّيه وأمسك ما بين فكَّيه . ولله دَرُّ ابي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل :

تكلَّمْ وَسَدِّدْ ما استطعتَ فانما كلامك حيٌّ والسكوتُ جَمَادُ
فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السَّدادِ سَدادُ

---

٦ — ﴿ ما أرْخَصَ الجملَ لولا الهِرَّة ﴾

وذلك ان رجلاً ضلَّ له بعير ، فأقسم لئن وجده لَيبيعه بدرهم . فأصابه . فقَرَنَ به سِنَّوراً وقال : أبيع الجملَ بدرهم ، وأبيع السنور بالف درهم ، ولا أبيعهما الا معاً . فقيل له : ما أرخص الجمل لولا الهرة ! . . فجرت مثلاً يُضرَب في النفيس والخسيس يقترنان

---

٧ — ﴿ لجَّ فحَجَّ ﴾

اي نازع خصمه فحمله اللجاج على ان غلبه بالحجة . ويقال : بل معناه ان رجلاً خرج يطوف في البلاد . فاتفق حصوله بمكة . فحج من غير رغبة منه فقيل : لجَّ في الطواف حتى حج . قالوا : يُضرب للرجل يبلغ من لجاجته ان يخرج الى شيء ليس من شأنه . . وهذا من امثالهم في صعوبة الخلق واللجاجة

(خ . ب .)

ذَنَبه . لم يهلك من مالك ما وعظك . البطر عند الرخاء حُمق والعجز عند البلاء أمن . لا تُجيبوا فيما لا تُسألون عنه ولا تضحكوا مما لا يُضحَك منه . حيلة من لا حيلة له الصبر . إن تَعِش ترَ ما لم تره . المكثار كحاطب ليل . — الى غير ذلك مما جرى كُلُّهُ مجرى الامثال . وقد أحسن من قال : رحم الله امرأ أطلق ما بين كفَّيه وأمسك ما بين فكَّيه . ولله دَرُّ ابي الفتح البستي حيث يقول في هذا المثل :

تكلَّمْ وَسَدِّدْ ما استطعتَ فانما كلامك حيٌّ والسكوتُ جَمَادُ
فان لم تجد قولاً سديداً تقوله فصمتك عن غير السَّدادِ سَدادُ

---

٦ — «ما أرْخَصَ الجملَ لولا الهِرَّة»

وذلك ان رجلاً ضلَّ له بعير ، فأقسم لئن وجده لَيبيعه بدرهم . فأصابه . فقَرَنَ به سِنَّوراً وقال : أبيع الجملَ بدرهم ، وأبيع السنور بالف درهم ، ولا أبيعهما الا معاً . فقيل له : ما أرخص الجمل لولا الهرة ! . . فجرت مثلاً يُضرَب في النفيس والخسيس يقترنان

---

٧ — «لجَّ فحَجَّ»

اي نازع خصمه فحمله اللجاج على ان غلبه بالحجة . ويقال : بل معناه ان رجلاً خرج يطوف في البلاد . فاتفق حصوله بمكة . فحج من غير رغبة منه فقيل : لجَّ في الطواف حتى حج . قالوا : يُضرب للرجل يبلغ من لجاجتهِ ان يخرج الى شيء ليس من شأنه . . وهذا من امثالهم في صعوبة الخلق واللجاجة

(خ . ب .)